الفصل الرابع

جُهُودُهُ اللُّغَوِيَّة

تَوطِئَة

المباحث اللغوية التي شارك فيها القرطبي، وهو يفسر ألفاظ القرآن ويكشف عن أحكام آياته شملت قضايا تتصل بمظاهر التصور الدلالي للألفاظ كالاشتراك اللفظي، والترادف، والتضاد، وقضايا أخرى تتصل بعوامل إغناء اللغة العربية وإثرائها كالاشتقاق والتعريب، وما يتصل بلغات القبائل العربية.

وقد رأيت أن أتناول ذٰلك من خلال مبحثين اثنين هما:

١ ـ دلالة الألفاظ.

٢ ـ ظواهر لغوية غير دلالية.

وسأتناول في المبحث الأول معنى دلالة الألفاظ بإيجاز، ثم أعرض لما ورد في تفسير القرطبي من مباحث تتصل بهٰذا الموضوع.

أمَّا المبحث الثاني فسأتناول فيه مباحث أخرى ليست دلالية، كالاشتقاق والتعريب، والحديث عن لغات القبائل العربية المختلفة.

أوَّلاً: دلالة الألفاظ

تُعَدُّ دلالة الألفاظ من أهم الموضوعات في الدراسات اللغوية، التي هي عبارة عن «علاقة تتحقق بين الدال والمدلول»[1].

فإذا نظرنا في جميع اللغات وجدناها تشتمل على ألفاظ عديدة، واللفظ هو الصوت المعتمد على المخرج مطلقاً[2]، سواء دَلَّ على معنى مثل: كتب، أو لَمْ يَدُلَّ على معنى، كالألفاظ المهملة[3].

والذي يعني الباحث اللغوي هو اللفظ الدالُّ على معنى، لأنَّه هو الذي يُؤلِّف التراكيب اللغوية.

وقد اهتم علماؤنا القدماء والمحدثون بدراسة دلالة الألفاظ[4]، ولعل ظهور المعاجم بمختلف أنواعها منذ بدء الدرس اللغوي أكبر دليل على هٰذا الاهتمام.

وللمفسرين مشاركة قيمة في هٰذا النمط من البحث، وذٰلك من خلال تفسيرهم ألفاظ القرآن الكريم، وكان القرطبي أحد أولٰئكم المفسرين الذين تعرضوا لقضايا وثيقة الصلة بمباحث الدلالة، عرض لها خلال تفسيره آيات القرآن وألفاظه، وتتصل المباحث التي عرض لها بالظواهر الأربع الآتية:

أولاً: المشترك اللفظ.

---

(١) «دلالة الألفاظ» /٤٦.

(٢) «المغني» لابن فلاح /٩، وينظر: «مجيب الندا شرح قطر الندى»١/١٩.

(٣) «دلالة الألفاظ» /٤٤، وقد مثل بعض النحويين للفظ المهمل بنحو (ديز) مقلوب (زيد)، «شرح الألفية» لابن عقيل ١/١٤.

(٤) «دلالة الألفاظ» /٤٤-٦١.

ثانياً: الأضداد.

ثالثاً: المترادفات.

رابعاً: الحقيقة والمجاز.

وفيما يأتي تفصيل ذٰلك:

١ ـ المشترك اللفظي:

الأصل في اللغة أن يُعَبَّر باللفظ الواحد عن معنى واحد[١]، هٰذا هو الذي يفرضه المنطق العقلي الذي يتصل بوضع الألفاظ بإزاء المعاني إلا أن الاستعمال اللغوي قد جاء في أحيان كثيرة على خلاف هٰذا الأصل[٢]، فقد جاءت في العربية ألفاظٌ كثيرةٌ دَلَّ كُلٌّ منها على أكثرَ من معنى، وقد أطلق على هٰذا النمط من الألفاظ مصطلح (المشترك اللفظي)[٣]، وقد حده العلماء بأنَّه: «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[٤]، على: «أن يستوي اللفظان في ترتيب الحروف وعددها وحركاتها، ويختلفا في المعنى»[٥].

من ذٰلك مثلاً كلمة (أمَّةٍ) فقد استعملت في القرآن الكريم للدلالة على معانٍ عدة، منها:

---

(١) «المشترك اللفظي في اللغة العربية» /٦٦.

(٢) «الفروق في اللغة» /١٤ـ١٥.

(٣) المصدر نفسه ١٤ـ١٥.

(٤) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٦٩.

(٥) «فقه اللغة» علي عبد الواحد وافي /١٨٩.

١ ـ الجماعة[١]: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

٢ ـ الدين[٣]: وذلك كما في قوله تعالى على لسان الكافرين: ﴿إِنَّا وَجَدْنا آبَاءَنا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾[٤].

٣ ـ الحين[٥]: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٦].

ومن ذلك أيضاً كلمة (الغُرُوبِ) التي استعملت للدلالة على معانٍ مختلفة في الأبيات الآتية:ـ

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِيْ الهَوَىٰ
إِذْ رَحَلَ الجِيْرَانُ عِنْدَ الغُرُوبِ
أَتْبَعْتُهُم طَرْفي وَقَدْ أَزْمَعُوا
وَدَمْعُ عَيْنَيَّ كَفَيْضِ الغُرُوبِ
كَانُوا وَفِيْهِمْ طَفْلَة حُرَّةً
تَفْتُرُ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِيْ الغُرُوبِ[٧]

فدل الغروب الأول على: غروب الشمس، والثاني منها جمع (غَرْبٍ) وهو الدلو العظيمة المملوءة، أما الثالث فإنه جمع (غرب) وهو

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/١٧٠، و«المفردات في غريب القرآن» /٢٣.
(٢) آل عمران: ١١٠.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/١٧٠، و«المفردات في غريب القرآن» /٢٣.
(٤) الزخرف: ٢٢.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/١٧٠، و«المفردات في غريب القرآن» /٢٣.
(٦) يوسف: ٤٥.
(٧) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٧٦، و«العين»: (غرب).

الوِهاد المنخفضة[1].

وقد كان سيبويه من أقدم الذين أشاروا إلى هٰذه الظاهرة، وإن لم يستعمل هٰذا المصطلح، وذٰلك عند قوله: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين... واتفاق اللفظين، واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، هو نحو: جلس وذهب... واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة ووجدت، إذا أردت وُجْدَانَ الضَّالة»[2].

فقد عنى سيبويه بقوله: (واتفاق اللفظين والمعنى مختلف) ما أطلق عليه فيما بعد مصطلح: المشترك اللفظي.

القرطبي والمشترك اللفظي:

إن الناظر في تفسير القرطبي يدرك أن صاحبه من القائلين بوجود هٰذه الظاهرة في العربية[3]، ويتضح ذٰلك من حديثه عن عدد من الألفاظ التي تضمنها تفسيره، والتي صرح بأنها من (المشترك اللفظي)، أو يفهم من كلامه أنه يَعدُّها منه. وهٰذه أمثلة لذٰلك:

---

(١) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٧٦، و«الصحاح»: (غرب)، و«لسان العرب»: (غرب).

(٢) الكتاب ١/٢٤.

(٣) لمعرفة موقف اللغويين من هٰذه الظاهرة، ينظر: «فقه اللغة» علي عبدالواحد وافي /٢٨٩، و«في اللهجات العربية» /١٩٢، و«المشترك اللفظي في اللغة العربية» /٦٨، و«ظاهرة المشترك اللفظي» مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٤، مجلد/٣٥، ص٣٦١.

أ ـ الألفاظ التي نصَّ على أنها من المشترك اللفظي:

١ ـ الدين[١]: قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢]: «الدين: الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذا قال ابن عباس[٣] وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم، ورُوِيَ عن النبي ﷺ، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾[٤]، أي: حسابهم... ومنه الديان في صفة الرب تعالى، أي: المجازي، وفي الحديث: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»، أي: حاسبها، وقيل: القضاء، رُوِيَ عن ابن عباس أيضاً، ومنه قول طرفة:

لَعَمْرُكَ مَا كَانَتْ حَمُولَةُ مَعْبَدٍ
عَلَى جَدِّهَا حَرْبَاً لِدِيْنِكَ مِنْ مُضَرْ[٥]

ومعاني هٰذه الثلاثة متقاربة.

والدين أيضاً: الطاعة، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

وأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ
عَصَيْنَ المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِيْنَا

فعلى هٰذا هو لفظ مشترك...، ويطلق الدين على العادة والشأن كما قال:

---

(١) «القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٤٧.

(٢) الفاتحة: ٣.

(٣) «تنوير المقياس من تفسير ابن عباس» /٢.

(٤) النور: ٢٥.

(٥) الحمولة: الإبل التي يُحمل عليها، والجد: البئر الجيدة الموضع من الكلأ. ينظر: «المصباح المنير» (جَدَّ، حمل، كلأ) ١/١٢٦، ٢٠٩، ٢/٧٤١.

* كَدِيْنِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَها *

وقال المثقب يذكر ناقته:

تَقــول إذا دَرَأْتُ لَهَــا وَضِــيْنِــي
أَهَــذَا دِينُــه أَبَــداً وَدِيْنِــي[1]

والدين: سيرة الملك، قال زهير:

لَئِــنْ حَلَلْتَ بجــدٍ فــي بَنِــيْ أَسَــدٍ
فِي دِيْنِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[2]

أراد في موضع طاعة عمرو.

والدين: الداء عن اللحياني، وأنشد:

* يَا دِيْنَ قَلْبِكَ مِنْ سَلْمَى وَقَدْ دِيْنَا *»[3]

فقد ذكر للدين عدة معانٍ هنا، وهي:

الجزاء، والحساب، والقضاء، والطاعة، والعادة، والشأن، وسيرة الملك، والداء، وصرَّح بأنه لفظ مشترك.

٢ ـ الذكـر:

قال في تعليقـه على قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

---

(١) الوضين: بطان ينسج بعضه على بعض، يُشَدُّ به الرَّحلُ على الفرس. ينظر: «الصحاح» (وضن).

(٢) الجد: موضع في ديار بني أسد، والفدك: موضع بخيبر. ينظر: «المصباح المنير» (فدك) ٢/٦٣٦.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٤٣ـ١٤٥، وينظر: «تنوير المقباس» /٢، و«نزهة الأعين النواظر» /٢٩٦، و«تاج العروس» (دين) ٩/٣٠٧.

عَلَيْكُمْ﴾[1]: «الذكر: اسم مشترك، فالذكر بالقلب: ضد النسيان، والذكر باللسان: ضد الإنصات، وذكرت الشيء بلساني وقلبي ذكراً...

والذكر أيضاً: الشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[2]...»[3].

فقد ذكر أنَّ لِلذِّكر هنا ثلاثة معان، هي: ضد النسيان، وضد الإنصات، والشرف، وقد نص على أنَّه اسم مشترك[4].

والواقع أنَّ المعنيين الأولين لم يدل عليهما لفظ الذكر مطلقاً، وإنما دل عليهما ما قُيِّد الذكر به، فقد قُيِّد الأول منهما بالقلب، وقُيِّد الثاني باللسان، وعلى هٰذا فاللفظ يدل على الشرف عند الإطلاق وعلى غيره حينما يقيد بشيء آخر[5].

٣ ـ الرقيب: عرض له عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً﴾[6]، فقال: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، أي: حفيظاً، عن ابن عباس ومجاهد، ابن زيد: عليماً، وقيل: (رقيبا)، حافظاً، قيل: بمعنى فاعل.

فالرقيب: من صفات الله تعالى، والرقيب: الحافظ والمنتظر،

---

(١) البقرة: ٤٠.

(٢) الزخرف: ٤٤.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٣١، و١٦/٩٣.

(٤) «غريب القرآن» /٩٣، و«تأويل مشكل القرآن» /٢٥٣، و«المفردات في غريب القرآن» /١٧٩.

(٥) «نزهة الأعين النواظر» /١٠٢، و«المفردات في غريب القرآن» /١٧٩، و«تاج العروس» (ذكر) ٣/٢٢٩.

(٦) النساء: ١.

تقول: رقبت أرقب رقبة ورقباناً: إذا انتظرت، والمَرْقب: المكان العالي المشرف، يقف عليه الرقيب.

والرقيب: السهم الثالث من السبعة التي لها أنصباء. ويقال: إن الرقيب ضرب من الحيات، فهو لفظ مشترك»[1].

فقد أورد للرقيب ستة معان، هي: الحفيظ، أو الحافظ، والعليم، والمنتظر، والسهم، ونوع من الحيات، وصرح بأنه لفظ مشترك.

٤ ـ العرش:

ذكر في تفسيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾[2] أنَّ العرش لفظ مشترك، فقال:

«العرش: لفظ مشترك يطلق على أكثر من واحد... العرش سرير الملك...، والعرش سقف البيت، وعرش القدم: ما نَتَأَ في ظهرها وفيه الأصابع، وعرش البئر: طَيُّها بالخشب، بعد أن يُطْوَى أسفلُها بالحجارة قَدْرَ قامَة، فذلك الخشب هو العرش... والعرش: اسم لمكة، والعرش: الملك والسلطان»[3].

فقد أورد لهٰذا اللفظ ستة معان مختلفة، إلا أنَّها تشترك جميعاً بإفادة العلو والارتفاع بالقدر أو المكان.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/٧ـ٨، و«نزهة الأعين النواظر» /٣١٠، و«المنجد في اللغة» /٢١٧، و«المفردات في غريب القرآن»/٢٠١.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٧/٢٢٠، وينظر: «مقابيس اللغة» ٤/٢٦٤، و«المصباح المنير» (العرش) ٢/٥٤٩.

٥ ـ قضى:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرَاً فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١]: «قال علماؤنا[٢]: (قضى) لفظ مشترك يكون بمعنى الخلق، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ في يَوْمَيْنِ﴾[٣]، أي: خلقهن، ويكون بمعنى الإعلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ في الكِتَابِ﴾[٤]، أي: أَعْلَمْنَا، ويكون بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٥]، ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام، ومنه سُمِّي الحاكم قاضياً، ويكون بمعنى توفية الحق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوْسَىٰ الأَجَلَ﴾[٦]، ويكون بمعنى الإرادة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرَاً فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٧]، أي: إذا أراد خلق[٨] شيءٍ»[٩].

---

(١) البقرة: ١١٧.

(٢) «مجمل اللغة» (قضى) ٣/٧٥٧، وينظر: «الصحاح» (قضى)، و«المفردات في غريب القرآن» /٤٠٦-٤٠٧، و«ظاهرة المشترك اللفظي» مجلة المجمع العلمي العراقي» /٣٦٥-٣٧٠، سنة ١٩٨٤.

(٣) فصلت: ١٢.

(٤) الإسراء: ٤.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) القصص: ٢٩.

(٧) البقرة: ١١٧.

(٨) «الصحاح» (قضى)، و«المصباح المنير» (قضى) ٢/٦٩٦.

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٨٨، و«فقه اللغة» للثعالبي /١٠٧، و«نزهة الأعين النواظر» /٧٠٧، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٤٩.

ب ـ ألفاظ أورد لها أكثر من معنى ولم يصرح بأنها من المشترك اللفظي:

١ ـ الأرض:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[١] ما نصُّه: «الأرض، مؤنثة وهي اسم جنس... وكل ما سفل فهو أرض...، والأرض أسفل قوائم الدابة.

والأَرض: النفضة والرعدة، روى حماد بن سلمة، عن قتادة بن عبدالله بن الحارث، قال: زلزلت الأرض بالبصرة، فقال ابن عباس: والله ما أدري أُزْلِزَتِ الأَرض أم بي أرض[٢]، أي: أم بي رعدة، وقال ذو الرمة يصف صائداً:

إذا تَوَجَّسَ رِكْزاً مِنْ سَنَابِكِهَا
أَوْ كَانَ صَاحِبَ أَرْضٍ أَوْ بِهِ الْمُومُ[٣]

والأرض: الزكام، وقد آرضه الله إيراضاً، أي: أزكمه فهو مأروض»[٤].

---

(١) البقرة: ١١.

(٢) «إصلاح المنطق» /٨٤، و«المنجد في اللغة» /١٠٨.

(٣) توجس: تسمع، الركز: الحس والصوت الخفي، سنابكها: حوافرها، المُومُ: البِرسَام وهو الخَبَلُ، وقيل: الجدري الكثير.
ينظر: «الصحاح» (وجس، ركز، موم)، و«المنجد في اللغة» /١٠٨، و«لسان العرب» (سنبك).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٢٠٢-٢٠٣، و«المنجد في اللغة» ١٠٧-١٠٩.

فقد أورد القرطبي للأرض أربعة معانٍ، هي: كل ما سفل، وأسفل قوائم الدابة، والنِفضة والرعدة والزكام.

وإذا ما أمعَنَّا النظر في هٰذه المعاني وجدنا أنَّ المعنى الأوَّل والثاني في الحقيقة هما معنى واحد: فالأوَّلُ عام، والثاني خاص، وعلى هٰذا يكون لهٰذه اللفظة ثلاث دلالات مختلفة فقط.

٢ ـ الأمر:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾[١]: «قال علماؤنا: والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهاً:

الأول: الدين، قال تعالى: ﴿حتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾[٢]، يعني: دين الإسلام.

الثاني: القول، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنا﴾[٣]، يعني: قولنا، وقوله: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[٤]، يعني: قولهم.

الثالث: العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾[٥]، يعني: لما وجب العذاب بأهل النار.

الرابع: عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إذا قَضَى أَمْراً﴾[٦]، يعني: عيسى، وكان في علمه أن يكون من غير أب.

---

(١) البقرة: ١١٧.

(٢) التوبة: ٤٨.

(٣) المؤمنون: ٢٧.

(٤) طه: ٦٢.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

(٦) آل عمران: ٤٧.

الخامس: القتل ببدر، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾[1]، يعني: القتل ببدر، وقوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[2]، يعني: قتل كفار مكة.

السادس: فتح مكة، قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾[3]، يعني: فتح مكة.

السابع: قتل بني قُريظة وجلاء بني النضير، قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾[4].

الثامن: القيامة، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ﴾[5].

التاسع: القضاء، قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[6]، يعني: القضاء.

العاشر: الوحي، قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[7]، يقول: يُنَزِّلُ الوحي من السماء إلى الأرض، وقوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[8]، يعني: الوحي.

الحادي عشر: أمر الخلق، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ

---

(١) المؤمنون: ٧٨.
(٢) الأنفال: ٤٢.
(٣) التوبة: ٢٤.
(٤) البقرة: ١٠٩.
(٥) النحل: ١.
(٦) يونس: ٣.
(٧) السجدة: ٥.
(٨) الطلاق: ١٢.

الأُمُورُ﴾[1]، يعني: أمور الخلائق.

الثاني عشر: النصر، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾[2]، يعنون: النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾[3]، يعني: النصر.

الثالث عشر: الذنب، قال الله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها﴾[4]، يعني: جزاء ذنبها.

الرابع عشر: الشأن والفعل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍ﴾[5]، أي: فِعله وشأنه، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[6]، أي: فعله»[7].

٣ ـ الرب:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾[8]، «أي: مالكهم، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، فالرب: المالك، وفي

---

(١) الشورى: ٥٣.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) الطلاق: ٩.

(٥) هود: ٩٨.

(٦) النور: ٦٣.

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٨٨ـ٨٩، وينظر: «المنجد في اللغة» ١٠٩، و«الصحاح» (أمر)، و«المفردات في غريب القرآن» ٢٤ـ٢٥، و«تاج العروس» (أمر) ٣/١٧.

(٨) الفاتحة: ٢.

الصحاح[1]: الرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلّا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك، قال الحارث بن حلّزة:

وَهُـوَ الـرَّبُّ والـشَّـهِـيْدُ عَلَى يَوْ مِ الـحِـيَارَيْنِ[2] وَالْبَـلَاءُ بَلَاءُ

والرب: السيِّدُ، ومنه قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[3]، وفي الحديث: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها»، أي: سيدتها...، والربُّ: المصلح والمدبِّرُ والجابر والقائم، قال الهروي[4] وغيره: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربَّه يَربُّه فهو ربٌّ له ورابٌّ، ومنه سُمِّيَ الربانيون لقيامهم بالكُتُب.

وفي الحديث: «هَلْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها عَلَيْهِ»، أي: تقوم بها وتصلحها، والربُّ: المعبود، ومنه قول الشاعر:

أَرَبٌّ يَبُـولُ الـثَّـعْـلَبَـانُ بِرَأْسِـهِ
لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ»[5]

فقد أورد لهٰذا اللفظ ثمانية معان، هي: المالك وأنه اسم من أسمائه تعالى، والسيد، والمصلح، والمدبِّر، والجابر، والقائم، والمعبود.

---

(١) «الصحاح» (رَبَب).

(٢) الحيارين: موضع غزا أهله المنقذ بن ماء السماء، ينظر: «لسان العرب» (حير).

(٣) يوسف: ٤٢.

(٤) «الصحاح» (ربب).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٣٦، وينظر: «الصحاح» (ربب)، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٤٩.

٤ ـ الكظم:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿والكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ والعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ﴾[1]: «كظم الغيظ: رده في الجوف، يقال: كظم غيظه، أي: سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، وكظمت السقاء، أي: ملأته وسددت عليه، والكظامة: ما يسد به مجرى الماء، ومنه الكظام للسير الذي يُسَدُّ به فَمُ الزقِّ والقِربةِ، وكَظَمَ البَعيرُ جِرَّته[2] إذا رَدَّها في جوفه، وقد يقال لحبسه الجرة قبل أن يرسلها إلى فيه: كَظْمٌ، حكاه الزجاج[3]، يقال: كظم البعير والناقة إذا لم يجترّا، ومنه قول الراعي:

فَأَفَضْنَ بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ
مِنْ ذِيْ الأَبَارِقِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيْلَا

. . . ، قال أعشى باهلة يصف رجلاً نحَّاراً للإبل فهي تفزع منه:

قَدْ تَكْظُمُ البُزْلُ مِنْهُ حِيْنَ تُبْصِرُهُ
حَتَّى تَقَطَّعَ في أَجْوَافِهَا الجُرَرُ

ومنه: رجل كظيم ومكظوم، إذا كان ممتلئاً غَمّاً وحزناً، وفي التنزيل: ﴿وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيْم﴾[4]. . .»[5].

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) الجِرَّةُ بالكسر: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يردُّه إليها.
ينظر: «المصباح المنير» (جرر) ١/١٣٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ١/٤٨٢.

(٤) يوسف: ٨٤.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٢٠٦ـ٢٠٧، وينظر: «تاج العروس» (كظم) ٩/٤٧ـ٤٨، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٥١.

٥ ـ النصر:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[١]: «النصر: العون. . .، والنصر: الإتيان، يقال: نَصَرْتُ أرضَ بني فلان: أَتَيْتُها، قال الشاعر:

إذا دَخَلَ الشَّهْرُ الحَرَامُ فَوَدِّعِي
بِلادَ تَمِيمٍ وانْصُرِي أَرْضَ عَامِرِ

والنصر: المطر، يقال: نُصِرَت الأرضُ: مُطِرَتْ، والنَّصر: العطاء، قال:

إِنِّي وأَسْطارٍ سُطِرْنَ سَطْرَاً
لَقَائِلٌ يَا نَصْرُ نَصْرَاً نَصْرَا[٢]

فهٰذه المعاني متداخلة: فالمطر: عون وعطاء وإتيان، والعطاء: إتيان وعون، وقد يكون مطراً أيضاً.

وهناك أمثلة أخرى لكلا الضربين، فمن الأول: السب[٣]، والشرعة[٤]، والشريعة، والظنين[٥]، والمولى[٦]، والمسح[٧].

---

(١) البقرة: ٤٨.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٨٠-٣٨١، و«نزهة الأعين النواظر» /٥٨٦، و«المفردات في غريب القرآن» /٤٩٥.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/١٨١.

(٤) المصدر نفسه ٦/٢١١.

(٥) المصدر نفسه ١٩/٢٤٢.

(٦) المصدر نفسه ٥/١٦٦.

(٧) المصدر نفسه ٥/٢٣٨.

ومن الثانية: البر[1]، والثور[2]، والريب[3]، والشهاب[4]، والصلاة[5].

وقد تعرَّض القرطبي خلال تفسيره إلى أثر (المشترك اللفظي) في اختلاف الحكم الفقهي:

من ذٰلك ما ذكره في حديثه عن (القُرْءِ) الذي يدل على الطهر والحيض، وأنه من المشترك اللفظي[6]، وبسبب هٰذه الدلالة المشتركة، اختلف الفقهاء في عدة المطلقة:

فأبو حنيفة من الذين قالوا بدلالته على الحيض، وبنى عليه أنَّ عدة المطلقة تنتهي بنهاية الحيضة الثالثة[7].

أما الشافعي فقال: إنه يدل على الطهر، وبنى عليه أن عدة المطلقة تنتهي ببداية الحيضة الثالثة، لكونها أنهت ثلاثة أطهار[8].

وكما أن المشترك اللفظي أدى إلى الخلاف بين الفقهاء، فإنه قد أدى أيضاً إلى الخلاف بين النحاة في إعراب الآيات.

ومن ذٰلك اختلافهم في دلالة (صَعِيْدٍ) على التراب، وعلى وجه

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٦٨.
(٢) المصدر نفسه ١/٤٤٦.
(٣) المصدر نفسه ١/١٥٩.
(٤) المصدر نفسه ١٣/١٥٧.
(٥) المصدر نفسه ١/١٦٨.
(٦) المصدر نفسه ٣/١٤، ١٨/١٥٣، وينظر: «الصحاح» (قرء).
(٧) «بدائع الصنائع» ٣/١٩٣، وينظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٢/٥٥.
(٨) «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ٢/٨٩.

الأرض[1]، الـذي أدَّى إلى اختـلافهم في إعراب (صعيدا) من قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدَاً طَيِّبَاً﴾[2]: «فمن أخذ بالمعنى الأول أعربه مفعولاً به، ومن أخذ بالمعنى الثاني أعربه ظرف مكان[3].

ومنه أيضاً اختلافهم في دلالة (طيباً) على الحلال والطاهر[4] الذي أدى إلى اختلافهم في إعرابها في الآية السابقة، فمن أخذ بالمعنى الأوَّل أعربها حالاً، ومن أخذ بالثاني أعربها نعتاً لـ (صعيداً)[5].

٢ ـ الأضداد:

عرَّفها أبو الطيب اللغوي بقوله: «الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والجبن والشجاعة»[6].

وهٰذا هو المعنى اللغوي للضد.

أما المعنى الإصطلاحي فهو: لفظ يطلق على المعنى ونقيضه، وذٰلك كالجون للأسود والأبيض، وكالجلل للعظيم والهيّن من الأمور[7]. وتُعَدُّ الأضداد من المشترك اللفظي لأنَّ اللفظ الواحد يدل على أكثر

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/٢٣٧، وينظر: «الصحاح» (سعد).

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه ٥/٢٣٧، وينظر: «المفردات في غريب القرآن» /٢٨١.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/٢٣٧.

(٦) «الأضداد في كلام العرب» ١/١.

(٧) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٨٧، وينظر: «فقه اللغة» علي عبدالواحد وافي /١٩٢، و«الألفاظ اللغوية» /٧٨، و«الأضداد في اللغة» للدكتور محمد حسين آل ياسين /٩٩.

من معنى[1].

وقوع الأضداد في العربية:

اختلف اللغويون في وقوع هٰذه الظاهرة في العربية وكانوا في ذٰلك فرقتين[2]:

١ ـ فرقة أنكرت وقوعها، وعلى رأسها ثعلب وابن درستويه والآمدي[3].

٢ ـ فرقة أقرَّت وقوعها، وعلى رأسها الخليل وسيبويه، وسار في طريقهما معظم اللغويين بعدهما[4].

وقد سعى قسم من العلماء إلى تفسير هٰذه الظاهرة مثل أبي بكر ابن الأنباري، حيث ذكر أنه: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل هو لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع؛ فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما[5].

وحمل ابن سيده هٰذه الظاهرة على أنَّها نوع من تداخل اللغات، أو نوعٌ من الاستعارة، أي: أنها جاءت في الأصل لمعنى، ثم استعيرت بعد ذٰلك لمعنى آخر[6].

---

(١) «الصاحبي» /٦٦، وينظر: «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٩٦.

(٢) «الأضداد في اللغة» للدكتور محمد حسين آل ياسين /٢٤٥.

(٣) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٩٦، وينظر: «الأضداد في اللغة» للدكتور محمد حسين آل ياسين /٢٤٦ـ٢٤٨.

(٤) الكتاب ١/٢٤، وينظر: «الصاحبي» ١/٦٦، و«الأضداد في اللغة» لابن الأنباري/٨، و«الأضداد في اللغة» للدكتور محمد حسين آل ياسين/٢٥٤.

(٥) «الأضداد في اللغة» لابن الأنباري ١١ـ١٢.

(٦) «المخصص» ١٣/٢٥٨ـ٢٥٩.

وأمَّـا الذين منعوا هٰذه الظاهرة فقد ذكروا أنه من المستحيل أن يوضع اللفظ للدلالة على المعنى وضده[1].

القرطبي والأضداد في اللغة العربية

كان القرطبي ممن أَقَرَّ بوقوع الأضداد في العربية، فقد وصف كثيراً من الألفاظ التي عرض لها خلال تفسيره، بأنها من الأضداد وذٰلك لأنَّها قد جاءت في اللغة دالَّةً على المعنى وضده، وسأعرض فيما يأتي أمثلةً لذٰلك:

١ ـ ارتـاب:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿واللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾[2]: «إن ارتبتم، أي: شككتم، وقيل: تيقنتم، وهو من الأضداد: يكون شكّاً ويقيناً كالظن»[3].

٢ ـ أَسَـرَّ:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾[4]: «أَسَرُّوا النـدامـة، أي: أخفوها، يعني: رؤساؤهم، أي: أخفوا ندامتهم عن أتباعهم...، وقيل: أسرُّوا: أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدلُّ عليه أنَّ الآخـرة ليست دار تجلد وصبـر[5]، وقـال أيضاً: «أَسرُّوا هنا من

---

(١) «المزهر في علوم اللغة» ١/٤٠١، وينظر: «الأضـداد في اللغة» للدكتور محمد حسين آل ياسين/٢٥٤.

(٢) الطلاق: ٤.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/١٦٣، وينظر: «الأضداد» للسجستاني /٨٨.

(٤) يونس: ٥٤.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٨/٣٥٢.

الأضداد: فيحتمل أن يكونوا أخفوا كلامهم، ويحتمل أن يكونوا أظهروه وأعلنوه»[1]، ويقول أيضاً: «أسرُّوا الندامة، أي: أظهروها، وهو من الأضداد، يكون بمعنى الإخفاء والإبداء[2].

قال امرؤ القيس:

تَجاوَزْتُ أَحراسَاً وأَهْوَالَ مَعْشَرٍ
عَلَيَّ حِرَاصَاً لَوْ يُسِرُّون مَقْتَلِي»[3]

فهو في هٰذه النصوص الثلاثة يؤكد دلالة الإسرار على الإخفاء، وعلى ضده الإظهار، وقد استشهد على ذٰلك بكون الآخرة ليست دار تجلد، وبما قاله امرؤ القيس.

٣ ـ الرَسُّ:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾[4]: «الرَّسُّ: الإصلاح بين الناس، والإفساد أيضاً، وقد رَسَسْتُ بينهم: فهو من الأضداد»[5].

٤ ـ العفو:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾[6]: «العفو

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١١/٢٦٩.

(٢) «الأضداد في اللغة» لابن الأنباري /٣٧.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٤/٣٠٣، وينظر: «الأضداد» لابن السكيت/١٧٦.

(٤) الفرقان: ٣٨.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١٣/٣٣، وينظر: «الأضداد في كلام العرب» لأبي الطيب ١/٣١٩.

(٦) البقرة: ٥٢.

عفـو الله جل وعـز عن خلقـه، فالعفـو: محو الذنب، أي: محونا ذنوبكم. . . وتجاوزنا عنكم، مأخوذٌ من قولك: عفت الريح الأَثَرَ، أي: أذهبته، وعفا الشيء: كثر، فهو من الأضداد»[1].

٥ ـ مناص:

قال في تعليقـه على قولـه تعـالى: ﴿وَلَاتَ حِيْنَ مَنَـاصٍ﴾[2]: «المناص بمعنى التأخر والفرار والخلاص، أي: نادوا لطلب الخلاص في وقت لا يكون لهم فيه خلاص.

قال الفراء[3]:

* أَمِنْ ذِكرِ ليلى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ *

يقـال: ناص عن قرنـه ينـوص نوصـاً ومنـاصاً، أي: فَرَّ وزاغَ، النحاس[4]: ويقال: ناص ينوص، إذا تقدم، قلت: فعلى هٰذا يكون من الأضداد»[5]، فقد ذكر لهٰذا اللفظ معنيين، هما: الفرار ونقيضه التقدم، وصرَّح بأنَّه من الأضداد.

٦ ـ وراء:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾[6]، أي:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٩٧، وينظر: «مقابيس اللغة» ٤/٥٦.

(٢) ص: ٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/٣٩٧.

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/٧٨٠.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/١٤٦.

(٦) البقرة: ٩١.

بما سواه، عند الفراء وقَتَادة: بما بعده، وهو قول أبي عبيدة[1]، والمعنى واحد، قال الجوهري[2]: وراء، بمعنى: خلف، وقد يكون بمعنى (قدام)، وهو من الأضداد، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾[3]، أي: أمامهم»[4].

وذكر أن الزجاج لا يُقِرُّ إفادتها معنى خلف، وأنَّ كُلًّا من ابن عرفة والهروي وأبي نصر القشيري قد قيدوا إفادتها ذٰلك في الأمكنة، والأوقات فقط، أما الأجسام فلا تفيد ذٰلك فيها، سواءٌ أكان لها وجه أم لا[5].

٧ ـ عسعس:

ذكر في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ﴾[6] ما نصه: «قال الفراء[7]: أجمع المفسرون على أنَّ معنى (عسعس) أدبر. حكاه الجوهري..[8]، والخليل[9] وغيره: عسعس الليل: إذا أقبل أو أدبر، المبرد: هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء

---

(١) «مجاز القرآن» ١/٤٧.

(٢) «الصحاح» (ورى).

(٣) الكهف: ٧٩.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٢٩، وينظر: «الأضداد في اللغة» لابن الأنباري /١.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١١/٣٥ـ٣٦.

(٦) التكوير: ١٧.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٣/٢٤٢.

(٨) «الصحاح» (عسعس).

(٩) «العين» ١/٧٤، وينظر: «مجاز القرآن» ٢/٢٨٧، و«الأضداد في اللغة» لابن الأنباري /٢٦.

الظلام في أوَّله، وإدباره في آخره... الماوردي: وأصلُ العَسِّ: الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبير عَسٌّ[1]، لامتلائه بما فيه. فأُطْلِقَ على إقبال الليل، لابتداء امتلائه، وأُطْلِقَ على إدباره لانتهاء امتلائه على ظلامه»[2].

هٰذا قسم من مباحثه في الأضداد وألفاظها، وهناك الكثير منها مبثوثة في تفسيره، أذكر منها على سبيل التمثيل والإيجاز:

١ ـ بَشَّر:

تدل على الإخبار بالخير، والإخبار بالشر[3].

٢ ـ البكر:

تدل على المرأة التي لم تتزوج بعدُ، وعلى مَنْ وَلَدت أوَّل مولود لها[4].

٣ ـ الرجاء:

يطلق على الأمل وعلى الخوف[5].

---

(١) «القاموس المحيط» (عس) ٢/٢٣٩، وينظر: «المصباح المنير» (عس) ٢/٥٦٠.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/٢٣٨، وينظر: «غريب القرآن»/١٤٤.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/٢٢٢، وينظر: «اللسان» (بشر).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤٤٩، وينظر: «الأضداد في كلام العرب» ١/٩٢، و«التضاد في ضوء اللغات السامية» /٧٠.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٣/٥٠، وينظر: «الأضداد» للأصمعي /٢٤.

٤ ـ الرهو:

يطلق على المكان المرتفع، والمكان المنخفض[١].

٥ ـ غبر:

تدل على من بقي، وعلى من مضى[٢].

٣ ـ المترادفـــات:

يُطلَقُ هٰذا المصطلح ويُرادُ به عند القدماء: «الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحـد باعتبار واحد»[٣]، وعند المحدثين: لفظان أو أكثرُ يَدلاَّن على معنى واحد، بشرط اتفاقهما في البيئة اللغوية والعصر، وأن لا تكون تلك الدلالة نتيجة تطور صوتي لأحدهما عن الآخر[٤].

وتعريف المحدثين لا يخرج عن تعريف القدماء، وإنما هو شرح له وتوضيح لمعنى الاعتبار الواحد الذي ورد في حدهم للترادف.

فكرة الترادف لدى العلماء:

كان سيبويه أوَّل مَنْ وضع اللَّبِنَةَ الأُولى لهٰذه الظاهرة حينما قال: «اعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحـو: جلس وذهب، واختـلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق»[٥]، ثم تناولها بعده كثير من العلماء فأفردوا لها كتباً مستقلة،

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٣٧/١٦، وينظر: «الأضداد» لابن السكيت/١٦٧.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ٢٤٦/٧، وينظر: «مجمل اللغة» ٦٩٠/٣.
(٣) «المزهر في علوم اللغة» ٤٠٢/١.
(٤) «فصول في فقه العربية» /٢٨٤، وينظر: «الترادف في اللغة»/٦٦.
(٥) الكتاب ٢٤/١.

أو أبواباً داخل كتبهم، وذلك كما فعل الأصمعي (ت: ٢١٦هـ) الذي وضع كتابه «ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه»[١]، وكما فعل الرماني (ت: ٣٨٤هـ) في كتابه «الألفاظ المترادفة»[٢]، وأبو عبيد (ت: ٢٢٤هـ) الذي خصص أحد أبواب كتابه «الغريب المصنف»[٣] لذلك تحت عنوان: «كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد»[٤] فذكر فيه كثيراً من الألفاظ الدالة على معنى واحد.

موقف العلماء من المترادفات:

اختلف العلماء في وقوع المترادفات في اتجاهات ثلاثة: فمنهم من قال بوجودها، ومن هؤلاء سيبويه: (ت: ١٨٠هـ)، وأبو عبيد (ت: ٢٢٤هـ)، والمبرد (ت: ٢٨٥هـ)[٥].

ومنهم من أنكر وجودها، ومن هؤلاء ابن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ)، وثعلب (ت: ٢٩١هـ)، وابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، وأبو هلال العسكري (ت: بعد ٤٠٠هـ)[٦] الذين قالوا بالفروق اللغوية.

ومنهم من حاول التوفيق بينهما كالفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) الذي مال إلى الاعتدال وقيَّد ذلك بوحدة الاعتبار لكي يخرج الاسم والصفة

---

(١) ذكر حاجي خليفه أن اسمه (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، وهذا خطأ، ينظر: «كشف الظنون» ٢/١٥٧٢.

(٢) «هدية العارفين» ١/٦٨٣، وقد طبع في القاهرة، ١٣٢١هـ.

(٣) «كشف الظنون» ٢/١٢٠٧، وهو مخطوط في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٦٢٨)، لغة.

(٤) ينظر: «الغريب المصنف»/٢٨٦.

(٥) «المزهر في علوم اللغة» ١/٤٠٢-٤٠٣، وينظر: «الترادف في اللغة» /١٩٦.

(٦) لم تثبت سنة وفاته، ينظر: «بغية الوعاة» ١/٥٠٦.

فإنهما ليسا مترادفين، لأنَّ دلالة كُلٍّ منهما على المعنى باعتبار يختلف عن الاعتبار الآخر[1].

أسباب وقوع المترادفات:

لوقوع المترادفات أسباب كثيرة يمكن إيجازها فيما يأتي:

١ ـ اختلاف لغات العرب:

وذلك كما في أقسم وحلف وبعث وأرسل[2].

٢ ـ أن يكون للشيء الواحد اسم وعدة صفات:

كما في السيف والصارم والمهند والباتر[3].

٣ ـ التطور الدلالي في اللغة:

كما في (الورد) الذي استعمل في الأصل للدلالة على (إتيان الماء)[4]، ثم تطور استعماله للدلالة على الإتيان مطلقاً[5]، وكذلك (البأس) الذي يدلى على الشدة في الحرب في أصل استعماله[6]، ثم استعمل للدلالة على الشدة مطلقاً[7].

---

(١) «المزهر في علوم اللغة» ١/٤٠٢، و«فصول في فقه العربية» /٢٧٦.

(٢) «فصول في فقه العربية» /٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه /٢٨١.

(٤) «الجمهرة» ٣/٤٣٣، و«المزهر في علوم اللغة» ١/٤٢٩.

(٥) «الترادف في اللغة» /٨٢.

(٦) «الجمهرة» ٣/٢٠٦، و«المزهر في علوم اللغة» ١/٤٣١.

(٧) «الترادف في اللغة» /٨٥.

٤ ـ الاقتراض من اللغات الأخرى:

وذلك كما في هلك التي تستعمل في اللغة العربية للدلالة على الذهاب مطلقاً[١]، ثم استعملت في العربية للدلالة على الذهاب بسبب الموت، فترادفت هلك ومات[٢].

موقف القرطبي من المترادفات:

عرض القرطبي في تفسيره إلى الترادف وأقرَّ بوقوعه في العربية وذلك في أثناء تفسيره الآيات القرآنية، وحديثه عن الألفاظ التي تفيد ذلك، ولكنه قليلاً ما كان يذكر مصطلح الترادف[٣]، أمَّا الغالب عليه فإنَّه يعبر عنه بكون لفظين ما قد جاءا بمعنىً واحد، أو أن يذكر عدة ألفاظ ثم ينص على أنَّها قد جاءت بمعنى واحد[٤].

وفيما يأتي أعرض أمثلة لكلتا الحالتين:

(أ) ألفاظ أقرَّ بترادفها:

وهي ألفاظ كثيرة[٥] أذكر فيما يأتي ثلاثة أمثلة، منها ما هي:

١ ـ البخل والشح:

فلقد تحدث عنهما وذكر أنَّ العلماء في ذلك فرقتان: فرقة فَرَّقت

---

(١) «فصول في فقه العربية» /٢٨٣.

(٢) «في اللهجات العربية» /١٨٣.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٤٤.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤١٩، ٢/١٧، ٥/٢٩٣، ١٣/٨٤، ١٦/٣٣٢، ١/٤١٩، ٢/١٧، ٥/٢٩٣، ١٣/٨٤، ١٦/٣٣٢.

(٥) ينظر مثلاً: «الجامع لأحكام القرآن» ٢/١٧، ٩٣، ١٦/٣٣٢.

بينهما، وأخرى قالت: إنَّ الشحَّ هو البخل[1]، فقال عن ذلك وهو الصحيح»[2].

٢ ـ التحية والسلام:

تحدث عنهما، فذكر أن هناك مَنْ فَرَّقَ بينهما، ثم قال: «والأظهر أنهما بمعنى واحد»[3]، ودليله على ذلك قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[4]، فالتحية هي السلام[5].

٣ ـ حَرَّضَ، أَكَبَّ، وَاظَبَ:

تكلم على هٰذه الألفاظ فأفاد أنَّها من المترادفات، حيث قال عنها: «يقال: حَرَّضتُ فلاناً على كذا، إذا أمرته به، وحارض فلان على الأمر وأكَبَّ وَوَاظَبَ بمعنى واحد»[6].

وهناك أمثلة أخرى، منها: (السور والحاجب)[7]، و(التجسس والتحسس)[8]، و(حاضت المرأة ودرست وعركت وطمثت)[9]، و(الإناء والقدح)[10].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه ٤/٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه ١٣/٨٤.

(٤) الأحزاب: ٤٤.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١٣/٨٤.

(٦) المصدر نفسه ٥/٢٩٣.

(٧) المصدر نفسه ١٧/٢٤٦.

(٨) المصدر نفسه ١٦/٣٣٢.

(٩) المصدر نفسه ٣/٨٢.

(١٠) المصدر نفسه ١٥/٧٨.

(ب) ألفاظ رَدَّها:

لقد فرَّق القرطبي بين حالتين: حالة يكون فيها اللفظان دالَّين على معنى واحد متطابق، وحالة أخرى يكون فيها اللفظان دالَّين على معنيين متقاربين، فجعل الأوَّل من باب الترادف، أمَّا الحالة الثانية فلم يجعلها من باب الترادف، ولهٰذا ردَّ كثيراً من الألفاظ التي عدَّها غيرُه من باب المترادفات، أمَّا القرطبي فقد عدها من باب الفروق اللغوية[1].

فمثلاً لما عرض للفظي (الإيمان والإسلام) ذكر أن قسماً من العلماء جعلوهما من الألفاظ المترادفة، فلم يقر هٰذا القول وصرح بأنهما متغايران، فقال: «والأصل في مسمَّى الإيمان والإسلام التغاير لحديث جبريل»، ثم ذكر الخلاف في ذٰلك بين العلماء، ثم قال: «والحقيقة هي الأولى[2] وضعاً وشرعاً»[3].

ولمَّا عرض للفظي (الحمد والشكر) ذكر موقف العلماء عنهما، ثم قال: «الصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان»[4].

وفعل مثل ذٰلك عندما تحدث عن (الانبجاس والانفجار) حيث قال: «الانبجاس أضيق من الانفجار لأنه يكون انبجاساً ثم يصير انفجاراً.

---

(١) يُعَدُّ أبو هلال العسكري من أشهر الذين ألَّفوا في هٰذا الباب، يُنظر كتابه: «الفروق في اللغة».

(٢) الإشارة إلى التغاير.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٦٣، ٤/٤٤.

(٤) المصدر نفسه ١/١٣٤، وينظر: «الفروق في اللغة» /٣٩.

وقيل: انبجس وتَبَجَّسَ وتَفَجَّر وتَفَتَّقَ بمعنى واحد، حكاه الهروي وغيره»[1].

فقد فرَّق القرطبي بين دلالة هٰذين اللفظين وضعَّف قول من عدَّهما من باب الترادف، وعبَّر عن هٰذا التضعيف بعبارة كثيراً ما يستعملها القدماء لتضعيف الآراء والأقوال، وهي: (قيل).

٤ ـ الحقيقة والمجاز:

لقد عالج أغلب المفسرين موضوع الحقيقة والمجاز في تفاسيرهم ومنهم القرطبي، لأنَّ لها ارتباطاً وثيقاً بالكشف عن دلالة الألفاظ ومعانيها التي هي أعظمُ مهمةٍ تولَّاها المفسرون في تفسيرهم الآيات القرآنية الكريمة[2].

وأرى من المفيد أنْ أعرض بإيجاز لمفهوم الدلالة الحقيقية، والدلالة المجازية، وأسباب الخروج من الحقيقة إلى المجاز، ومفهوم القرطبي من ذٰلك، وأُشْفِعُ ذٰلك بأمثلةٍ تُبيِّنُ مباحث القرطبي في هٰذا الجانب الدلالي.

الدلالة الحقيقية والمجازية:

- الأصلُ في اللفظ أن يدلَّ على المعنى دلالةً حقيقية، ومع ذٰلك فقد يخرج إلى الدلالة المجازية.

فالدلالة الحقيقية: ما أُقِرَّتْ في الاستعمال على أصلِ وضعها في

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤١٩، وينظر: «الغريبين» ١/١٣٠.

(٢) «البحر المحيط» ١/١٤، و«الإتقان في علوم القرآن» ٢/١٧٤، و«التفسير والمفسرون» ١/١٤.

اللغة[1]، كدلالة الأسد على الحيوان المفترس المعروف.

والدلالة المجازية: ما أُقِرَّت في الاستعمال على غير أصل وضعها، كدلالة الأسد على الرجل الشجاع[2].

أسباب الخروج من الحقيقة إلى المجاز:

لخروج اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية أسباب، أهَمُّها:

١ ـ الاتساع.

٢ ـ التوكيد.

٣ ـ التشبيه[3].

ويمكن توضيح ذلك إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِيْ رَحْمَتِنَا﴾[4] حيث استعمل (الإدخال) هنا استعمالاً مجازياً وكان في أصل وضعه دالاً على الولوج في الجهات أو المحال[5]، إلاَّ أنَّه استعمل هنا للولوج في الرحمة[6]. وبذلك تُوُسِّع في دلالته فزيدت على الجهات والمحال ـ الرحمة[7]، وشُبِّهت الرحمة التي لا يجوز الإدخال بها، في أصل الوضع ـ بالجهات، والمحال التي يجوز الدخول فيها، ووضعت

---

(١) «الخصائص» ٢/٤٤٣، و«المجاز في البلاغة العربية» /٢٠٣.

(٢) «الخصائص» ٢/٤٤٣، وينظر: «المجاز في البلاغة العربية» /١١٤.

(٣) «الخصائص» ٢/٤٤٤.

(٤) الأنبياء: ٧٥.

(٥) «الصحاح» (دخل).

(٦) «المفردات في غريب القرآن» /١٦٦.

(٧) المصدر نفسه /١٦٦.

موضعها، وأُكِّد الإخبار عن المعنى بما يُخبَر به عن الذات: فلقد أخبر عن الرحمة كما لو أخبر عن الجهة أو المحل[1].

وبذلك تحققت أغراض المجاز الثلاثة في هٰذه اللفظة.

القرطبي والحقيقة والمجاز:

الناظر في تفسير القرطبي يجد صاحبه قد اعتنى عناية كبيرة في التمييز بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية، وكان كثيراً ما يُمَيِّزُ بين الدلالتين، ويُبيِّن الغرض اللغوي في استعمال المجاز، وهٰذه أمثلة توضح ذٰلك:

١ ـ التولية:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾[2]: «تولَّى: تفعل، وأصله: الإعراض والإدبار عن الشخص بالجسم[3]، ثم استعمل في الإعراض عن الأوامر[4] والأديان والمعتقدت اتساعاً ومجازاً»[5].

٢ ـ صفراء:

ذكر في تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ﴾[6] ما نصه:

---

(١) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٥٦.

(٢) البقرة: ٦٤.

(٣) «الصحاح» (ولي).

(٤) «المفردات في غريب القرآن» /٥٣٤.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٣٨.

(٦) البقرة: ٦٩.

«صفراء: جمهور المفسرين أنها صفراء اللون، من الصفرة المعروفة، قال مكي عن بعضهم: حتى القرن والظلف، وقال الحسن وابن جبير: كانت صفراء القرن والظلف فقط، وعن الحسن أيضاً: (صفراء) معناه: سوداء، قال الشاعر:

تِلْكَ خَيْلي مِنْـهُ وَتِـلْكَ رِكَـابِـي
هُنَّ صُفْـرٌ أَوْلَادُهَـا كالـزَّبِـيْبِ

قلت: والأَوَّل[1] أَصحُّ، لأنَّه الظاهر، وهٰذا[2] شاذ لا يستعمل مجازاً إلا في الإبل، قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّه جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾[3]، وذٰلك أن السود من الإبل سوادها صفرة، ولو أراد السواد لما أَكَّده بالفقوع وذٰلك نعت يختص بالصفرة، وليس يوصف السواد بذٰلك.

تقول العرب: أسود حالك، وحَلْكوك، وحُلْكوك، ودجوى، وغربيب، و: أَحْمَرُ قانٍ، و: أَبْيضُ ناصعٌ، و: لَهِقٌ ولِهاق[4]، و: أخضرُ ناضرٌ، و: أصفرُ فاقعٌ، هٰكذا نصَّ نقلةُ اللغة عن العرب»[5].

لقد بَيَّن القرطبي في كلامه هٰذا أن بعض العرب تستعمل (الصفرة) للدلالة على السواد في الإبل دلالة مجازية، إلَّا أنَّه رجَّح قول من قال: إن دلالتها ـ هنا ـ دلالةٌ حقيقية على اللون الأصفر، وذٰلك لأمور ثلاثة، هي:

---

(١) كونه للصفرة الحقيقية.

(٢) استعمال الصفرة للسواد.

(٣) المرسلات: ٣٣.

(٤) «مجمل اللغة» ٣/٧٩٧.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤٥٠، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٥٣.

١ ـ كونُ ظاهر الآية يؤيِّده.

٢ ـ كونُ استعمالها في الدلالة المجازية شاذ ـ هنا ـ.

٣ ـ كونه أكَّدها بأنها (فاقعٌ لونها)، لأنَّ الذي يؤكد بكونه فاقعاً من الألوان، إنما هو الصفرة، لا غيرها.

٣ ـ الطعام:

تَحدَّث في تعليقه على قوله تعالى: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[١]، فقال: «المائدة: الخوان الذي عليه الطعام... ويسمى الطعام أيضاً مائدة تجوُّزاً، لأنَّه يؤكل على المائدة»[٢].

٤ ـ الموت:

ذكر في تعليقه على قوله ﷺ: «أمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُها، فإنَّهُم لا يَمُوتُونَ ولا يَحْيَوْنَ، ولٰكنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُم النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، فأَمَاتَهُمُ الله إمَاتَةً» الحديث، ما نصه:

«قلت: فقوله: (فأماتهم الله) حقيقةٌ في الموت، لأنَّه أَكَّده بالمصدر، وذٰلك تكريماً لهم.

وقيل: يجوز أن يكون (أماتهم) عبارة عن تغيبهم عن آلامهم بالنوم، ولا يكون ذٰلك موتاً على الحقيقة.

والأوَّل أصَحُّ، وقد أجمع النحويون على أنَّك إذا أَكَّدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، وإنما هو على الحقيقة»[٣].

---

(١) المائدة: ١١٤.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ٦/٣٦٧.

(٣) المصدر نفسه ١/٢٥٠.

لقد بَيَّن لنا القرطبي أنَّ المقصود بالإماتة ـ هنا ـ الموت الحقيقي، لأن النحاة ـ على ما نقل عنهم ـ ذكروا على أنَّ ما أُكِّد بالمصدر تكون دلالته حقيقية وليست مجازية[1]، وإلاَّ احتمل الأمرين معاً.

٥ ـ الهبوط:

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[2]: «إنَّ من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم، لخروج الماء منها وتردِّيها.

قال مجاهد[3]: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله...

وقيل: لفظة الهبوط مجاز، وذٰلك أن الحجارة لما كانت القلوب تعتبر بخلقها وتخشع بالنظر إليها، أضيف تواضع الناظر إليها، كما قالت العرب: ناقة تاجرة، أي: تبعث من يراها على شرائها.

وحكى الطبري[4] عن فرقة أنَّ الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الإرادة للجدار في قوله: ﴿يُرِيْدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[5]...

قلت: كل ما قيل يحتمله اللفظ، والأوَّل[6] صحيح، فإنَّه لا يمتنع أن يُعطى بعض الجمادات المعرفةَ فَيَعْقِل كالذي رُوِي عن الجِذْعِ

---

(١) «البرهان في علوم القرآن» ٢/٣٩١-٣٩٢.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/٨٠.

(٤) «جامع البيان» ١/٢٨٩.

(٥) الكهف: ٧٧.

(٦) أي: كون الخشية حقيقية.

الذي كان يستند إليه رسول الله ﷺ»[1].

لقد تبيَّن من هٰذا النص أنَّه يُرجِّح القول: بأنَّ دلالة (الهبوط) هنا دلالة حقيقية، حيث استشهد على ذٰلك بحنين الجذع إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤٦٥.

ثانياً: ظواهر لغوية غير دلالية

تَطرَّق القرطبي إلى مباحث لغوية غير دلالية في أثناء تفسيره، منها ما يتعلق باختلاف لغات القبائل العربية، ومنها ما يتعلق بعوامل إغناء العربية وإثراء مفرداتها، وتندرج هٰذه المباحث ضمن ظواهر لغوية ثلاث، هي:

١ ـ لغات العرب.

٢ ـ الاشتقاق والنحت.

٣ ـ التعريب.

وفيما يأتي تفصيل ذٰلك:

١ ـ لغات العرب:

تطرق القرطبي في تفسيره إلى مباحث كثيرة وثيقة الصلة باختلاف لغات العرب، وقد اتَّضح لي من خلال البحث أنَّ مظاهر هٰذا الاختلاف يمكن أن تكون واحداً مما يأتي:

أ ـ اختلاف في الدلالة.

ب ـ اختلاف في بنية المفردات.

وسأُفَصِّلُ الحديث عن ذٰلك فأذكر أمثلةً لكل منهما فيما يأتي:

أ ـ الاختلاف في دلالة الألفاظ:

ذكر في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1] ما نصه: «الرزق: مصدر رزق يرزق رزقاً... والرزق: العطاء، والرازقية:

---

(١) البقرة: ٣.

ثياب كتان بيض، وارتزق الجند: أخذوا أرزاقهم، والرَزقة: المرة الواحدة، هٰكذا قال أهل اللغة[1].

وقال ابن السكيت: الرزق بلغة أزد شنوءة: الشكر[2]، وهو قوله عز وجل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[3]، أي: شكركم التكذيب، ويقول: رزقني، أي: شكرني»[4].

فقد بيَّن أن (أزد شنوءة) تطلق (الرزق) للدلالة على (الشكر) في حين دلالته عند غيرها من القبائل العربية: العطاء مطلقاً[5].

وتحدث في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوَى﴾[6]، فقال: اختلف في السلوى، فقيل: هو السُمَّانىٰ بعينه، قاله الضحاك، قال ابن عطية[7]: السلوى: طير بإجماع المفسرين، وقد غلط الهذلي، فقال:

وَقَاسَمْتُهَا باللهِ جَهْداً لأَنْتُمُ
أَلَذُّ من السَّلْوى إذا ما نَشُورُها[8]

ظن السلوى: العسل.

قلت: ما ادعاه من الإجماع لا يصح، وقد قال المؤرج، أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي، وذكر أنه

(١، ٢) «الصحاح» (رزق).

(٣) الواقعة: ٨٢.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٧٨.

(٥) «الصحاح» (رزق)، و«المصباح المنير» (رزق) ١/٣٠٧.

(٦) البقرة: ٥٧.

(٧) «المحرر الوجيز» ١/٢٨٢.

(٨) نشورها: يقال: شار العسلَ إذا اجتناها، ينظر: «الصحاح» (شور).

كذلك بلغة كنانة، سمي بذلك لأنه يسلى به، ومنه عين السلوان، وأنشد:

لَو أَشْــرب الــسـلوان ما سليتُ
مالــي غِنَــىً عنــكَ وإن غنــيتُ

وقال الجوهري[1]: السلوى: العسل، وذكر بيت الهذلي:

* أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها *

ولم يذكر غلطاً»[2].

لقد قرَّر في نصه هٰذا أنَّ كنانة تطلق (السلوى) للدلالة على العسل، واختار ذٰلك عندما ردَّ ما ذكره ابن عطية من إجماع المفسرين على أنَّ المراد بـ(السلوى): الطير[3].

وذكر في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[4] ما نصه: أي: «لاهون معرضون» عن ابن عباس[5]، رواه الوالبي والعوفي عنه.

وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة حمير، يقال: سَمِّدْ لنا، أي: غَنِّ لنا، فكانوا إذا سمعوا القرآنَ يُتْلى، تغنَّوا ولعبوا حتى لا يسمعوا»[6].

فقد بين القرطبي في هٰذا النص أن حمير تطلق (السامد) للدلالة

---

(١) «الصحاح» (سلو).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤٠٧.
(٣) المصدر نفسه ١/٤٠٧.
(٤) النجم: ٦١.
(٥) «تنوير المقباس» /٢٤٨.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/١٢٣.

على المُغَنِّي، وأنه يدلُّ عند غيرهم من العرب على الجد تارة، والخمود أو الخمول تارة أخرى»[1].

ب ـ الاختلاف في بنية المفردات:

وهٰذا الاختلاف لا يخلو أن يكون واحداً من الأمور الآتية:

١ ـ اختلاف في الحركات.

٢ ـ اختلاف في إبدال الحروف.

٣ ـ اختلاف في ترتيب الحروف.

٤ ـ اختلاف في عدد الحروف.

وفيما يأتي أذكر أمثلةً لكل منها:

١ ـ اختلاف في الحركات:

ويكون ذٰلك في إبدال حركة من أخرى، والأمثلة على ذٰلك كثيرة أذكر منها هٰذه الأمثلة بحسب الحركات المبدلة:

أ ـ إبدال الفتحة كسرة:

من ذٰلك ما جاء في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذه القَـرْيَةَ﴾[2]، حيث قال: «قـولـه تعالى: ﴿هٰذه القرية﴾، أي: المدينة، سميت بذٰلك لأنَّها تَقَرَّتْ، أي: اجتمعت، ومنه: قَرَيْتُ الماءَ في الحوض، أي: جمعتُه... والقِريةُ (بكسر القاف) لغةُ اليمن»[3].

---

(١) «الصحاح» و«المصباح المنير» (سمد).

(٢) البقرة: ٥٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٤٠٩.

ب ـ إبدال الضمة كسرة:

من ذٰلك ما ذكره في حديثه عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً﴾[1]، حيث قال: «وقرأ طلحة بن مصرف وأبو عبدالرحمٰن السلمي وغيرهما: (دِمتَ) بكسر الدال[2]، وهما لغتان، والكسر لغة أزد السراة. من دِمتَ تَدام، مثل: خفت تخاف. وحكى الأخفش[3]: دمت تدوم شاذاً»[4].

فلقد بيَّن لنا في هٰذا النص أنَّ (أزد السراة) يُبدلون الكسرة بالضمة، إلَّا أنَّ تصريف الفعل المكسور الأوَّل يختلف عن تصريف مضمومه، حيث أن مضارع الأول (تَدام) في حين أنَّ مضارع الثاني (تدوم)، ومعناهما مختلف أيضاً: فمعنى الأول منهما (التتابع)، ومعنى الثاني (الثبوت)[5].

٢ ـ اختلاف في إبدال الحروف:

وهو ما يُعرَفُ بالإبدال اللغوي، والذي حدَّه اللغويون بأنَّه إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة الأخرى[6].

ومن ذٰلك ما يأتي:

أ ـ إبدال حرف بآخر:

---

(١) آل عمران: ٧٥.

(٢) نسبها ابن خالويه لابن وثاب، «مختصر في شواذ القرآن» /٢١.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ١/٢٠٧.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/١١٧.

(٥) «المصباح المنير» ١/٢٧٧.

(٦) «الإبدال» لأبي الطيب ١/٩، وينظر: «الألفاظ اللغوية» ١/٨١.

١ ـ إبدال الزاي من الصاد: تحدث تعليقاً على قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١]، فقال: أصل الصراط في كلام العرب: الطريق...، وقرىء: (السراط) بالسين[٢]...، وقرىء بين الزاي والصاد[٣]...، وقرىء بزاي خالصة[٤].

وحكى سلمة عن الفراء[٥]، قال: الزراط بإخلاص الزاي لغة لعذرة وكلب وبني القين، قال: وهؤلاء يقولون في أصدق: أزدق»[٦].

٢ ـ إبدال النون من اللام: قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكَالَ﴾[٧]: أن في (جبريل) عشر لغات، إحداها: (جبرين) بكسر الجيم وسكون الياء، وإبدال اللام نوناً، وهي لغة أسد[٨].

٣ ـ اختلاف في ترتيب الحروف:

وهو ما يعرف بالقلب المكاني، ومن ذلك ما جاء في حديثه عن (الصواقع) و(الصواعق)[٩]، فقال تعليقاً على قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو: «السبعة في القراءات» /١٠٥.

(٣) وهي قراءة حمزة: «السبعة في القراءات» /١٠٦.

(٤) رويت عن حمزة أيضاً: «السبعة في القراءات» /١٠٦.

(٥) لم يرد كلام الفراء عن (الصراط) في النسخة المنشورة من «معاني القرآن»، ينظر حديثه عن (أم الكتاب) ١/٣ـ٨.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٤٨، و«دراسة اللهجات العربية القديمة» /٥٠.

(٧) البقرة: ٩٨.

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٣٧.

(٩) «شرح شافية ابن الحاجب» ١/٢١.

أَصَابِعَهُم في آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾[1]، حيث قال: «قرأ الحسن (من الصواقع) بتقديم القاف[2]. . . ، قال النحاس[3]: وهي لغة تميم وبعض من ربيعة»[4].

فبَيَّنَ أنَّ تميماً وربيعة تُقَدِّمُ (القاف) على العين في نحو: (الصواعق) في حين أن العرب الآخرين ينطقونها كما هي.

ومثال ذلك (طمس وطسم) تعرض لذلك عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً﴾[5] حيث قال: «يقال في الكلام، طسم يطسم ويطسم، بمعنى: طمس، يقال: طمس الأثر وطسم، أي: أمحى، كله لغات، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾[6]، أي: أهلكها»[7].

وفعل مثل ذلك في حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْه﴾[8]، حيث قال: «قال قوم: أَيِسَ ويَئِسَ لغتان، أي: فلما يئسوا من ردِّ أخيهم إليهم»[9].

---

(١) البقرة: ١٩.

(٢) «مختصر في شواذ القرآن» /٣١، و«إتحاف فضلاء البشر» /١٣٠.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ١/١٤٤.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٢١٩.

(٥) النساء: ٤٧.

(٦) يونس: ٨٨.

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/٢٤٤.

(٨) يوسف: ٨٠.

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» ٩/٢٤١.

٤ ـ اختلاف في عِدَّة الحروف:

من ذٰلك ما ذكره من أنَّ (مَيْت) ساكنَ الياء، من غير تضعيف، و(ميِّت) المشـدَّد الياء بمعنى واحد، وهما لغتان[١]، وكذٰلك (طيف) و(طائف) كلاهما بمعنى، وهما لغتان[٢].

فالمُجـرَّد المَبْنَىٰ دلَّ على نفس المعنى الـذي دل عليه المزيد بحرف، أو بالتضعيف من غير أن تُؤدِّي تلك الزيادة إلى زيادة في المعنى أو تغيير فيها، وقد عدَّ القرطبي هٰذا الاختلاف اللفظي بأنه مظهر من مظاهر اختلاف اللغات من غير أنْ يعين القبائل التي وقعت هٰذه الألفاظ في لغاتها.

ترجيحه بعض لغات العرب:

سعى القرطبي في كثير من مباحث تفسيره إلى ترجيح عدد من لغات العرب على عدد آخر.

من ذٰلك ما فعله في حديثه عن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[٣]، حيث قال: «الخطف: الأخذ بسرعة، ومنه سمي الطير (خطافاً) لسرعته، ويخطَف ويخطِف لغتان، قرىء[٤] بهما، وقد خطفه (بالكسر) يخطفه خطفاً، وهي اللغة الجيدة»[٥].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٢١٦.

(٢) المصـدر نفسـه ٧/٣٥٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/٦٦٠، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٥٠.

(٣) البقرة: ٢٠.

(٤) الأولى قراءة الجمهور، والثانية لابن وثاب، «معجم القراءات» ١/٣٣.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٢٢٢.

ولم يُشر القرطبي إلى أهل هٰذه اللغة، وإنما وجدت غيره يُبيِّن ذٰلك، فقد قال ابن عطية: «قرأ جمهور الناس: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ بفتح الياء والطاء وسكون الخاء، على قولهم في الماضي: (خَطِفَ) بكسر الطاء، وهي أفصحُ لغات العرب، وهي القرشية»[1].

وفعل ذٰلك أيضاً في (لدن)، حيث ذكر وجود أربع لغات فيها، إحداها بفتح اللام وضم الدال وجزم النون، ووصفها بأنها أفصح اللغات[2]. وهٰذه هي لغة أهل الحجاز[3].

وفعل مثل ذٰلك أيضاً عندما تطرق إلى اللغات التي وردت في (الصدفين)[4] حيث قال: «قرأ نافع وحمزة والكسائي (الصَّدَفين) بفتح الصاد وشدها وفتح الدال[5]، وهي قراءة عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز، وهي اختيار أبي عبيدة[6] لأنها أشهر اللغات[7] وهي لغة تميم[8].

فهو قد وصف لغة قريش بأنها هي الجيدة وأنها أفصح اللغات حيناً، كما وصف لغة تميم بأنها أشهر اللغات حيناً آخر.

---

(١) «المحرر الوجيز» ١/١٨٦، وينظر: «البحر المحيط» ١/٨٩.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٢١.

(٣) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/٣١٢.

(٤) الكهف: ٩٦.

(٥) «النشر في القراءات العشر» ٢/٣١٥.

(٦) لم يتطرق إلى ذٰلك أبو عبيدة في «مجاز القرآن».

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» ١١/٦١.

(٨) ينظر: «اللغات في القرآن» لابن عباس /٣٤.

٢ ـ الاشتقاق والنحت:

أ ـ الاشتقاق:

لم يتحدث القرطبي في تفسيره عن ظاهرة الاشتقاق، ولٰكنَّه مَرَّ بها مروراً خلال تفسيره ألفاظ القرآن الكريم، مَثَلُه في ذٰلك مثل سائر المفسرين، وقد عَوَّل عليها في الربط بين معاني المفردات ومعرفة الأصول المشتركة بينها.

وتنحصر المسائل التي تكلم فيها على ظاهرة الاشتقاق بالاشتقاق العام المعروف عند الصرفيين بأنَّه: انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة: كضَاربٍ من: ضَرَبَ، وحَذِرٍ من حَذِرَ[1].

وفيما يأتي أعرض أمثلةً للمسائل التي تكلَّم عليها في هٰذا الباب:

١ ـ صحَّح اشتقاق (الاسم) من السمو، كما ذهب إلى ذٰلك البصريُّون حيث قال: «اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين، فقال البصريون: هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة...، وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة وهي العلامة...، والأَوَّلُ أَصَحُّ»[2].

ثم دلَّل على صحة ما ذهب إليه بأدِلَّةٍ منها تصريف الاسم نحو

---

(١) «الاشتقاق» مقدمة المحقق /٢٨، و«المزهر في علوم اللغة» ١/٣٤٦، و«شذا العرف في فن الصرف» /٧٠.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٠١، وينظر: «اشتقاق أسماء الله» /٤٤٤، وينظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ١/٦، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٤٢.

تصغيره وجمعه، فذكر أنَّه يُقال في التصغير: سُمَيٌّ وفي الجمع أسماءٌ، والجمع والتصغير يردَّان الأشياء إلى أصولها[1].

٢ ـ رجَّح مذهب القائلين باشتقاق (الرحمٰن)، وأعرَضَ عن مذهب القائلين بأنه غير مشتق[2]، واستدل لذٰلك بالأثر الوارد عن الرسول ﷺ، والذي ينص أن الله عز وجل قد قال: «أنا الرحمٰن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»[3]. ثم عقَّب على هٰذا الأثر، فقال: «وهٰذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق»[4].

٣ ـ وصحَّح أيضاً اشتقاق (آدم) من الأديم، حيث عرض اختلاف العلماء[5] في ذٰلك، ثم قال: «قلت: الصحيح أنَّه مشتق من أديم الأرض. قال سعيد بن جبير: إنما سمي آدم، لأنَّه خُلِقَ من أديم الأرض، ذكره ابن سعد في الطبقات»[6].

وأظنُّ أنَّ هٰذه الأمثلة التي أوردتها تعطينا فكرة واضحة عن عناية القرطبي بهٰذا المبحث المهم من مباحث اللغة، ولا أريد أن أستفيض

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٠١، وينظر: «اشتقاق أسماء الله» /٤٤٤، وينظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ١/١٣ ـ ١٤، و«شذا العرف في فن الصرف» /١٢٧.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٠٣-١٠٤، وينظر: «تهذيب اللغة» (رحم) ٥/١٩٢٩.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٠٤.

(٤) المصدر نفسه ١/١٠٤، وينظر: «اشتقاق أسماء الله» /٥٣.

(٥) المصدر نفسه ١/٢٧٩، وينظر: «الاشتقاق» /٧١، و«لسان العرب» (ادم).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٢٧٩، وينظر: «الطبقات الكبرى» ١/٢٦.

في ذكر الأمثلة الأخرى[1] رغبة في الإيجاز.

ب ـ النحت:

يُطلَق النحت ويُراد به انتزاع كلمة من كلمتين أو جملةٍ لتدل على مجموع ما انتزعت منه[2].

وأصلُ هٰذه الظاهرة ما ذكره الخليل حينما قال في تعليقه على قول الشاعر:

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ[3]
كَأَنْ لَمْ تَرَيْ قَبلي أَسِيْراً يَمَانِيَا

«نسبها إلى عبد شمس، فأخذ (العين) و(الباء) من (عبد)، وأخذ (الشين) و(الميم) من (شمس)، وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، فهٰذا من النحت»[4].

ويرى بعض الباحثين أن النحت نوع من الاشتقاق أطلق عليه (الاشتقاق الكبار)[5].

والراجح عندي أن النحت ليس من الاشتقاق، ذٰلك لأنَّ الاشتقاق:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٠٢، ١٣٧، ١٤٧، ٣٣٠، ٤/٧، ٣٢، ٦٦، ٨/٧، ٣٤، ٩/٢٧، ١٩/٣٢، ١٢٩، ١٨٨.

(٢) «المزهر في علوم اللغة» ١/٤٨٢.

(٣) «النحت في العربية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني، المجلد الحادي والثلاثين، ص٢.

(٤) «العين» ١/٦٠-٦١.

(٥) «فصول في فقه العربية» /٢٦٦.

أخذُ كلمةٍ من كلمة واحدة[1]، في حين أن النحت إنما هو: أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر[2].

موقف القرطبي من النحت:

لم ينص القرطبي على مصطلح النحت ولٰكنَّه تطرق إليه عَرَضاً وهو يتحدث عن بعض الألفاظ المولدة التي جاءت في اللغة على طريقة النحت، فأوردَ جملة ألفاظٍ منحوتة، وسَمَّى هٰذه الألفاظ المنحوتة مولدة[3] لأنَّها ليست متأصلة في اللغة، وجلُّ الألفاظ التي ذكرها هي ألفاظ إسلامية قال وهو يتحدث عن معنى البسملة: «يقال لمن قال بسم الله: مُبَسْمِلَ، وهي لغة مولدة، وقد جاءت في الشعر، قال عمر بن أبي ربيعة:

لَقَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيْتُهَا
وَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الحَبِيْبُ المُبَسْمِلُ

قلت: المشهور عند أهل اللغة: بسمل، قال يعقوب بن السكيت[4]، والمطرز، والثعالبي[5]، وغيرهم من أهل اللغة: بَسْمَلَ الرجلُ، إذا قال: بسم الله...، ومثله: حَوْقَلَ الرجل، إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهَلَّل، إذا قال: لا إله إلا الله، وسَبْحَلَ، إذا

---

(١) «المزهر في علوم اللغة» ١/٣٤٦.

(٢) «النحت في العربية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني، المجلد الحادي والثلاثين، ص٢.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٩٧، وينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير» ٢٤٧/.

(٤) «إصلاح المنطق» ٢/٣٣٦.

(٥) «فقه اللغة» للثعالبي ٢٠٦، ٢٠٧.

قال: سبحان الله، وحَمْدَلَ، إذا قال: الحمد لله، وحَيْعَلَ، إذا قال: حي على الصلاة، وطَبْقَلَ، إذا قال: أَطَالَ الله بقاءَك، ودَمْعَزَ، إذا قال: أدام الله عزَّك، وحَيْفَلَ، إذا قال: حَيَّ على الفلاح.

ولم يَذكر المُطرِّز الحَيْعَلَة إذا قال: حي على الصلاة، وجَعْفَل، إذا قال: جعلتُ فداك، وطَبْقَلَ، إذا قال: أطال الله بقاءك، ودَمْعَزَ، إذا قال: أدام الله عزك»[1].

لقد جمع القرطبي في نصه هٰذا معظم الكلمات المنحوتة من جملة، وهي عشر كلمات، من غير أن يُبَيِّن أنَّه من الاشتقاق أو عدمه[2]، ولم يتطرق إلى هٰذه الظاهرة في أيِّ موضعٍ آخر من تفسيره.

٣ ـ التعريب:

عَرَّف العلماءُ التعريب بأنَّه: «استعمال العرب ألفاظاً موضوعة لمعانٍ في غير لغتهم»[3].

أمَّا المحدثون فقالوا عنه إنَّه اقتراضُ اللغة العربية ألفاظاً وكلماتٍ من لغاتٍ أُخرى سواءٌ اتفق المعنيان فيها أم لا[4].

موقف العلماء من ورود المعرب في القرآن الكريم:

اتفق العلماء على ورود أعلام أعجمية في القرآن الكريم[5]، واختلفوا فيما عدا ذٰلك، وكانوا ثلاث فرق، هي:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٩٧.

(٢) «المزهر في علوم اللغة» ١/٤٨٣، ٤٨٤.

(٣) «المُعَرَّب» /٣.

(٤) «التهذيب في أصول التعريب» /٩، و«فصول في فقه العربية» /٣١٣ـ٣١٤.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٦٨ـ٦٩، و«الإتقان» ١/١٣٦.

١ ـ ذهب أهل العربية وفي مقدمتهم أبو عبيدة إلى عدم ورود شيءٍ من ذٰلك في القرآن الكريم، وأنَّ القرآن عربي صريح، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم[١].

٢ ـ ذهب الفقهاء إلى ورود ذٰلك في القرآن الكريم، وأنَّ تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، ولا رسول الله عن كونه متكلماً بلسانٍ عربيٍّ فصيحٍ[٢].

٣ ـ حاولت فرقة ثالثة التوفيق بين هاتين الفرقتين وفي مقدمتهم أبو عبيد وابن عطية والجواليقي، فقال أبوعبيد: الصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذٰلك أنَّ هٰذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلَّا أنَّها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هٰذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنَّها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فهو صادق[٣].

موقف القرطبي من وجود المعرب في القرآن:

عرض القرطبي لهٰذه الظاهرة عندما بين موقف العلماء من ورود

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٦٨، و«جامع البيان» ١/٥، و«البرهان في علوم القرآن» ١/٢٨٧، و«الإتقان» ١/١٣٥.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٦٩، و«المعرب» /٤، و«البرهان في علوم القرآن» ١/٢٨٨، و«الإتقان» ١/١٣٦.

(٣) «المُعَرَّب»/٤، وينظر: «المحرر الوجيز»١/٦٨، و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» /٢٤، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»، مجلة المورد، العدد الأول، ص١٠١.

كلمات خارجة عن لغات العرب في القرآن الكريم من عدمه، فذكر الاتجاهات الثلاثة السابقة، وصحح مذهب المنكرين وقوعها، وصحح أيضاً ورود الأعلام الأعجمية في القرآن مثلما فعل غيره من العلماء[1].

وقد فسَّر كثيراً من الألفاظ التي قال غيره إنَّها من المعرَّب بأنها من توافق اللغات[2].

هٰذا موقفه العام من هٰذه الظاهرة، ولٰكنه ربما خرج عن هٰذا الموقف فوقف من قسم من الألفاظ موقف المُقِرِّ بكونها من المعرب تصريحاً أو تلميحاً[3]، وذٰلك كأَنْ يسكتُ عن التعليق عليها، وكأنَّ سكوتَه يشير إلى أنَّها من المُعرَّب[4].

وسأضع بين يدي القارىء عدداً من الألفاظ التي تناولها في تفسيره ولها صلةٌ بهٰذا المبحث اللغوي، ومن خلال ذٰلك يتضح لنا موقفه.

١ ـ الإسْتبرق:

ذكر في تفسيره ما نصه: «السندس: الرقيق النحيف، واحده سندسة، قال الكسائي: والإستبرق: ما ثخن منه، عن عكرمة وهو الحريرُ، قال الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٦٨-٦٩، وينظر: «المعرب» /٤، و«المزهر في علوم اللغة» ١/٢٨٩، و«الإتقان في علوم القرآن» ١/١٣٦.

(٢) ينظر مثلاً: «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/٣٩٧، ١٦/١٥٢، ١٩/٣٩، ٨٩، ٢٥٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٩/٣٣.

(٤) ينظر مثلاً: المصدر نفسه ٣/٣٠١، ٥/١٠، ١٠/٢٥٧، ١٧/٥٨.

تَرَاهُـنَّ يَلْبَـسْـنَ الـمَـشَـاعِـرَ مَرَّةً
وإِسْتَبْـرَقُ الـدِّيْبَـاجِ طَوْرَاً لِبـاسُهـا

فالإستبرق: الديباج. ابن بحر: المنسوج بالذهب.

القتبي: فارسي معرب. الجوهري[1]: وتصغيره: أُبَيْرِقٌ، وقيل: هو استفعل من البريق.

والصحيح أنَّه وفاق بين اللغتين، إذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب»[2].

فقـد بيَّن أنَّ (الإستبرق) ليست لفظة مُعرَّبة كما يرى قسم من اللغويين، وإنما هي لفظة عربية وافقت لفظاً فارسياً.

٢ ـ التَّنُّور:

قال عنه في تفسيره: «التنُّور: اسمٌ أعجمي عرَّبتهُ العرب، وهو على بناءِ فَعَّل، لأنَّ أصلَ بنائه (تَنَّرَ)، وليس في كلام العرب نونٌ قبل راءٍ»[3].

٣ ـ حَوْب:

نقل عن مقاتل أنَّ (حَوْبا)، بفتح الحاء هي لغة الحبشة[4].

---

(١) ينظر: «الصحاح» (برق).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/٣٩٧، وينظر: «المعرب» /١٥، و«المفردات في غريب القرآن» ١/٥، ١٥.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٩/٣٤، وينظر: «المعرب» /٨٤، و«في التعريب» /٥٣.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/١٠.

٤ ـ صُرْهُنَّ:

ذكر في تفسيره عنها ما نصه: «قال الضحاك: وعكرمة وابن عباس في بعض ما روى عنه أنها لفظة بالنبطية، معناه: قَطِّعْهنّ»[١].

٥ ـ الفردوس:

قال عنه في تفسيره: «اللفظة فيما قال مجاهد: روميَّةٌ عُرِّبَتْ، وقيل: هي فارسية عُرِّبَتْ، وقيل: حبشية، وإنْ ثبت ذٰلك فهو وفاق بين اللغات.

وقال الضحاك: هو عربي، وهو الكرم، والعرب تقول للكرم: فراديس»[٢].

فهو يَرى أنَّ هٰذه اللفظة حتى إذا صحَّ وجودها في غير لغة العرب فهي عربية وافقت لفظةً أخرى غيرَ عربيةٍ، ولقد ضعَّف قول من قال: إنها غير عربية، في حين أطلق قول القائلين: إنَّها عربية كالضحاك مثلاً[٣].

٦ ـ القِسطاس:

تحدَّث عنها فقال: القِسطاس بضم القاف وكسرها: الميزان بلغة الروم، قاله ابن عزيز.

وقال الزجاج: القسطاس: الميزان صغيراً كان أو كبيراً.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٣/٣٠١.

(٢) المصدر نفسه ١٢/١٠٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٢/١٠٨، و«غريب القرآن»/١٥٧، و«المعرب»/٢٤١، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب».

وقال مجاهد: القسطاس: العدل، وكان يقول: لغة رومية»[1].

٧ ـ قَسْوَرَةٌ:

تكلَّم القرطبي في تفسيره عليها، فقال: «روى أبو جمرة عن ابن عباس، قال: ما أعلم القسورةَ: الأَسد في لغة أحد من العرب، ولٰكنَّها عصبُ الرجال[2]. . . ، وعنه أيضاً: القسورة بلسان العرب: الأسد، وبلِسان الحبشة: الرماة، وبِلسان فارس: شير، وبِلِسان النبط: أريا»[3].

فقد أورد لهٰذه اللفظة معاني كثيرة لدى العرب وغيرهم من الأقوام الآخرين، وهو بذٰلك يؤكد ما ذكره في أكثر من موضع في تفسيره من أنَّ هٰذه الكلمات لم تكن إلا وفاقاً بين العربية وغيرها من اللغات، وقد تتفق معانيها كما في (إستبرق)، وقد تختلف كما في (قَسْوَرة)[4].

٨ ـ الكِفْلُ:

وتحدث عن (الكِفْلُ)، فقال: «الكِفْلُ: الحَظُّ والنصيب. . . وهو في الأصل: كساء يَكتفل به الراكبُ فيحفظه من السقوط. قاله ابن جريج. . . ، وقال أبو موسى الأشعري: كفلين: ضعفين بلسان الحبشة»[5].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/٢٥٧، وينظر: «تفسير مجاهد» ١/٣٦٢، و«غريب القرآن» /١٦٣، و«المعرَّب» /٢٥١، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» /١١٧.

(٢) «تنوير المقباس» /٤٩٣.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/٨٩، وينظر: «اللغات في القرآن» لابن عباس /٤٨، و«اللغات في القرآن» لأبي حيان، لوحة/(٣٦).

(٤) «المفردات في غريب القرآن»/٤٠٣، و«اللغات» لابن عباس/٣٣، ٤٨.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٥/٢٩٥، و«المفردات في غريب القرآن»/٤٣٦، =

٩ ـ ناشئة:

قال في تعليقه عليها: «قال ابن مسعود: الحبشة يقولون: نشأ، أي: قام، فلعله أراد أن الكلمة عربية، ولٰكنها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم، وإلَّا فليس في القرآن ما ليس من لغة العرب»[١].

يتَّضح من هٰذه النصوص ومن غيرها من نصوص أخرى مشابهة[٢] لها أنَّ القرطبي ملتزم غالباً بما قاله من أنَّ لغة القرآن الكريم كلها عربية لا يشوبها لفظ دخيل أو منقول من لغة أخرى غير عربية .

وأنَّه ليس في القرآن ما ليس عربياً، وأنَّ الألفاظ التي قيل عنها إنَّها معربة ما هي إلَّا ألفاظ عربيَّة وافقت ألفاظاً أخرى وجدت في لغات أقوام آخرين.

ومع ذٰلك نجده في بعض المواضع يتخلى عن هٰذا الموقف فيُقرُّ بوجود شيء من ذٰلك كما في حديثه عن (التنُّور)[٣]، أو يسكتُ عن التعليق على قول من قال: إنها أعجمية كما في حديثه عن (صرْهُنَّ)، و(حَوْب)[٤]، فكأنَّه قد أقرَّ ضمناً بأنَّها معرَّبة.

= و«البحر المحيط» ٨/٤٣٣، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» /١١٨.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/٣٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/٤٣٦، ٥/١٠، ٨/٢٧٥، ٩/٣١، ٣٣، ٨٢، ١٦٤، ١٢/١١٥، ١٧/٢٦٦، ١٩/٢٥٤.

(٣) ينظر: هٰذا الكتاب/٢٥٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ٩/٣٣.

(٤) ينظر: هٰذا الكتاب/٢٥٩، ٢٦٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ٩/٣٣.

والراجح عندي ما ذهب إليه كثير من اللغويين وصحَّحه القرطبي من انتفاء وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم عدا الأعلام، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[1]، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِيْنُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2]، وفي ذلك أكثر من آيةٍ كريمة[3].

أما ما ورد فيه على صورة اللفظ الأعجمي، فإنما هو لفظ عربي وافق لفظاً آخر في لغة أخرى: يؤدي نفس المعنى الموجود في العربية حيناً، كما هو في نحو (الفردوس) مثلاً، أو يؤدي معنىً آخر غير الذي يؤديه في العربية كما هو في نحو (قسورة).

---

(١) يوسف: ٢.

(٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٣) كما في سورة الرعد: ٣٧، والنحل: ١٠٣، وطه: ١١٣.